الحمد لله الذي أنزل على عبده الفرقانَ ليكون للعالمين نذيراً ، وأشهدُ ألا إلـــه إلا الله وحـــده لا شريك لهُ خلق كلَّ شيءٍ فقدرهُ تقديراً ، وأشهدُ أنَّ رحمته للعالمين محمداً عبدهُ ورسولهُ المبعـــوثُ بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ، صلوات الله عليه وعلى آل بيته وصحابته والتابعينَ إلى يوم الدين وسلَّم تسليماً مزيداً كثيراً

أما بعد عباد الله فأوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى فمن قامَ لله بالتقوى فقد أخـــذ بمفتـــاحِ دار السعادة واستحقَّ على الله تعالى الحسنى وزيادة.

عباد الله: يأتي على النَّـــاسِ آخرُ العامِ الدِّراسيِّ كُلَّ سنةٍ مقترناً عند بعضهم بزيـــادة المهـــاراتِ وتكثيف المعارف وتطوير الذات ، وعند آخرين بزيادة حصيلة العلمِ الشرعيِّ وعمارة الـــدُّروسِ والحلقات ، وعند آخرينَ بالسفر في التقرب إلى الله بالطاعاتِ وصلة الأرحامِ والسياحةِ النَّزيهة في جوٍّ أسريٍّ لا تشوبهُ شوائبُ الانزلاق في مهاوي الرذيلة ، ولكنَّ آخرَ العامِ يأتي على أقوامٍ مقترناً بالنَّومِ والبطالة والخُمول يعمُر أحدهم نهارهُ بانتظار الليل ويملأ ليلهُ بانتظار النَّهار ، وهذا الصنفُ الأخيرُ رغمَ الترحمِ والتوجعِ لهُ إذ لم يجعل لنفسه همًّا غيرَ الشهادة على تكوير الليل والنَّهـــار لكنَّهُ أحسنُ حالاً من أقوامٍ جعلوا آخرَ العامِ موسمَ رواجٍ وتفنُّـــنٍ في طاقات اللهو واللعبِ والـــسهرِ والسَّرف والتبذير ومجاوزةِ حدود الله وتعدِّيها تحت ذريعة طردِ السآمةِ والملل اللازمينِ لهم أيـــامَ التحصيل الدِّراسيِّ ، ولا غرابةَ في تفاوت هذه الأحوال (خلق الله للمعالي رجالاً ** ورجالاً لمطعمٍ وملاهي) والعجيبُ أنَّ في أولئكَ اللاهينَ من تسلَّحَ بحديثٍ نبويٍّ يقذفُ بهِ كل ناصـــحٍ مـــشفقٍ يدعوهُ إلى استغلال الإجازةِ في اللهو الخالي من الحُرمات وفي دوراتِ تقوية وتطوير المهاراتِ فما إن يسمع توجيها بذلك حتى يقذفَ المتكلم بقوله صلى الله عليه وسلَّمَ (يا حنظلةُ ساعةً وساعةً) يا حنظلةُ ساعةً وساعةً طرفٌ صحيحٌ من حديثٍ صحيحٍ في قصَّـــةِ أحدِ أجلاَّءِ الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، إنَّها قصةٌ حفظَ كثيرٌ منا خاتمتها التي يتمُّ بها الاستدلالُ وجهلوا أحـــداثَ القـــصَّةِ المختتمة بهذا المقال ، فما هي القصةُ عباد الله ، إنَّ سيدنا حنظلةَ رضي الله عنهُ لم يكـــن مفتونـــاً باللهو واللعبِ ليتخذهُ بطَّـــالونا أصلاً يتكئونَ عليهِ عند كلِ انفلاتٍ منهم وإهدارٍ للوقتِ ، بـــل كانَ على عكسِ ذلك تماماً عاليَ الهمَّـــةِ بعيد الطُّـــموحِ ساميَ المُرادِ بلغَ بهِ الطُّموحُ مرتبةً لو نالها لكانت ملائكةُ الله تصافحهُ في غدوته وروحته على أرضِ الله فما خبرُ حنظلـــةَ.؟ مـــرَّ حنظلـــةُ الصحابيُّ الرضيُّ جليسُ رسول الله صلى الله عليه وسلمَ بشعورٍ نفسيٍّ لا يخلو منهُ أحدٌ فسارعَ إلى اتِّهامِ نفسهِ بالنِّفاقِ فشكى حالهُ لشيخِ هذه الأمةِ أبي بكر رضي الله عنهُ قائلاً (نـــافق حنظلـــةُ) فتعجَّبَ الصديقُ لذلك وهو يعلمُ استقامة الرجل وصدقَ إيمانه فقال أبو بكر (سُبْحَانَ اللَّـــهِ مَـــا تَقُولُ) قال حنظلةُ (نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا

رَأْىَ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا) فانتقلَ شعورُ الخوفِ من النِّفاقِ إلى صدِّيقِ الأمةِ وشيخها أبي بكر رضي الله عنهُ فقال (فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا) فأجمعا أمرهما على شكاية الحالِ وبثِّ المخافة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال حنظلةُ (فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « وَمَا ذَاكَ ». قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْىَ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِى وَفِى الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِى طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً » هذا هو حنظلةُ عباد الله يتهمُ نفسهُ ويخافُ عليها النِّفاقَ لانشغالها بالمباحاتِ من اللهو مع الذراري والأزواجِ فأينَ المقيمونَ على المُحرَّماتِ المُجمَع عليها ولا يجدون حرجاً في القول بملئ الفم (يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً) ولكنَّ أكثرهم لا يعلمون.

الترويحُ عن النَّفسِ عباد الله ضرورةٌ فطريَّةٌ أقرَّها الإسلامُ وضبطها ، فالنَّفسُ البشريةُ ملولٌ من دوامِ الجدِّ وفتورٌ عن استدامة الحزمِ ، ولا يقيمُ على حالٍ واحدةٍ في الطاعة إلا الملائكةُ الذين يُسبحون الليل والنَّهار لا يفترونَ ، أما البشرُ فلا طاقة لهم بذلك و لم يُكلَّفوه ، والمرَوِّحُ عن نفسهِ بالمباحاتِ وملاعبة الأولادِ ومسامرة الأهل يجدُ بعد فراغهِ نشاطاً في العبادة والعملِ الدنيويِّ والإنتاجِ الحياتيِّ ، أما المُرَوِّحُ بالمحرَّماتِ والمناكرِ فتجتمعُ عليهِ ظلماتٌ بعضها فوقَ بعضٍ من همِّ الحياة وضغوط العمل إضافةً إلى كآبة المعصية وشؤمها في القلب ، يقول عمرُ بن عبد العزيز (لا بأسَ على المسلم أن يلهو ويمرحَ ويتفكه على أن لا يجعل ذلك عادتهُ وخلقه فيهزل في موضع الجد ويلهو في وقت العمل).

ومن الخلل عند بعضنا اعتقادهُ أنَّ الترويحَ سلوك لا حدود لهُ ولا ضوابطَ ، والحقيقةُ أنَّ الإسلامَ جعل للترويحِ منهجا مضبوطاً بأن لا ضرر ولا ضرار ، فقد كانت صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يتذاكرون أمور الجاهليَّة ومضحكاتها ويتناشدون الأشعار ويشاركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبسمه الزَّين الذي لا يقومُ لهُ مللٌ ولا سآمة ، بل يتبادحون فيترامون بالبطيخِ من غير لعنٍ للآباء ولا قذفٍ للأعراضِ فإذا جدَّ الجدُّ وكانت الحقائقُ رأيتهم الرجالَ ، يقول عمرُ بن الخطاب رضي الله عنهُ (إنه ليعجبني الرجلُ أن يكون في أهله مثل الصبي فإذا بغي منهُ حاجةٌ وُجد رجلاً) ولا عجبَ فقدوة كلِّ أولئك رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يلاعبُ الصبيانَ ويمازحهم ويتعدَّى الترويحُ بيتهُ وأهلهُ إلى أبناء صحابته رضي الله عنهم كما يقول محمودُ بن الربيع

رضي الله عنهُ (إني لأعقلُ مجةً مجَّها رسول الله صلى الله عليه وسلمَ من دلو في دارنا) يعني أنه صلى الله عليه وسلم جعل بعضَ الماءِ في فيه الطاهر الشريفِ ثمَّ أخرجهُ على وجهِ محمودٍ رضي الله عنهُ وعمرهُ يومئذٍ خمسُ سنوات ، ويكونُ صلى الله عليه وسلم مسافراً مع الصحابةِفيطردونَ الملل بالحداء والإنشاد فيتيخرُ أحسنهم صوتا أنجشة رضي الله عنهُ فلما حدا أنجشةُ أسرعتِ الإبلُ لحسن صوته فقال عليه الصلاة والسلامُ (يا أنجشةُ رويدك سوقك بالقوارير) يخشى صلى الله عليه وسلمَ على النساء في الهوادج من سرعة عدو الإبل، ويسميهنَّ قواريراً ، وفي الجانبِ الآخر كان البراءُ بن مالك يحدو بالرجال ، ولو حصل ذلك بحضرة بعضِ متنطعينا لسولت لهُ الأمارةُ بالسوء أنَّه أغيرُ من رسول الله صلى الله عليه وسلمَ على الدين ، أتعجبون (والله ما حملت بمثل محمدٍ * أنثى ولا نال الورى كفوا لهُ) وكان صلى الله عليه وسلم يخرجُ بالناسِ من الجدِّ إلى الترويحِ في حزمٍ وحكمةٍ فيأتيهِ الرجلُ يطلبُ جملاً يركبهُ فيقول (إنا حاملوك على ولد الناقة) فينصرف ذهنهُ إلى ابن اللبون وأشباهه مما لا يُركَبُ ظهرهُ ويقول (وما أصنعُ بولد الناقة) فيقول عليه السلامُ (وهل تلدُ الإبلَ إلا النوقُ).

ـــ عباد الله إنَّ هذه النفسَ الفيَّاضةَ بالمرحِ والمباسطةِ وخفضِ الجناحِ للمؤمنين هي ذاتها التي تفطَّرت قدما صاحبها صلى الله عليه وسلم في قيام الليل شكراً لله تعالى بل هو القائلُ (إن لربك عليك حقاً ، وإنَّ لنفسكَ عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً فأعطِ كل ذي حقٍّ حقَّهُ) ، ولا ضير في أن تجتمعَ هذه الأخلاقُ والأوصافُ في شخصٍ واحدٍ لا يفترُ لسانهُ من ذكر الله مع كونهِ يضحكُ ويُضاحكُ ، يعملُ لدنياهُ ولا ينسى آخرتهُ في توازنٍ مضبوطٍ بالوحي الذي يسعى بنا إلى تحقيق منهج في الحياة لإيجاد التوازن في حياة الإنسان الروحية والمادية وفق فطرة الله التي فطر الناس عليها ، منهج يلتقي فيه عالم الشهادة بعالم الغيب ، لأن الإسلام دين عقيدة ترتكز على المادة والروح معا ، والأمانةُ الملقاةُ على عواتق الآباء والمُربين وأولياء الأمور تفرضُ عليهم بذل الأوقات والاهتمامات في سبل قضاء أوقات الفراغ لدى الناشئة ، فالفراغُ ليس خطرهُ في ذاته لكنَّ خطرهُ يكمن في أنَّه لن يستمرَّ فراغاً بل لا بد أن يمتلئَ بخيرٍ أو شرٍّ ، والفارغُ من ناشئة المسلمين أرضٌ خصبةٌ لتقبل السلوكيات الضارةِ إفراطاً وتفريطاً ، ومن تأمَّل الدراساتِ الاجتماعيةَ القائمةَ على آثار جرائم العنف والإرهاب والأخلاقياتِ يجدُ أنَّ تلك المخازي ذاتُ قاسم مشتركٍ واحدٍ وهو إساءةُ إدارة الأسرة لفراغِ الأبناء وصدق عمرُ رضي الله عنهُ يوم قال (إن هذه الأيدي لا بدَّ أن تُشغل بطاعته قبل أن تشغلك بمعصيته) وكم هي ميادين الترويح النقيةُ التي لا تُغتالُ في سوحها الفضائلُ بل تُبنى فيها شخصية النَّاشئ المُسلمِ من تمارين القوةِ ، وتعلم الأخلاقِ ، ومطالعة التاريخ ، والتدرب على الرجولة ، والمصارعة بين الأتراب ، وتعلم الصيد والرماية والتزوُّد من مهارات التكنولوجيا الحديثةِ وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى وهو عبادةٌ في ذاته ولكل امرئٍ ما نوى يقول عمر بن عبد العزيز (تحدثوا بكتاب الله فإذا مللتم فحديثٌ من أحاديث الرجال حسنٌ جميل)